الواجب على (المسلم) نحو.. اليوم الآخر:

إذا علمـــت أخي المؤمن أن الموت لا بد آتيك، وأن الساعة لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.. فماذا يجب عليك أن تعمل ؟..

هـــو أمر واحد – ماله ثانٍ[1] – : أن تستغل وجودك في هذه الحياة وتدّخر في مستودعك الذي ستفتحه يوم القيامة (أعمالك الصالحة)، إذ الحياة هـــي المـــزرعة الـــتي تبذر بروضها لتجد زوادتك في ذلك اليوم العظيم يوم الحساب والجزاء – لا يوم العمل!

إذا أنت لم تزرع، وألفيت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر–

و../

غـــداً توفّى النفوس ما عملت ويحصد الزارعون ما زرعوا –

وإلى هذا يدلنا ويحثنا على الجدِّ والعمل قبل فوات الأوان، قوله ﷺ:

{اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل مماتك}[2].

---

(١) .. هـــناك في عـــلم الفلسفة ما يسمى : (السؤال المفتوح) الذي له أو يحتمل عدة أجوبة، والسؤال المغلق ، أي: الـــذي لـــيس له إلا جواب واحد معلوم مدرك .. بالبديهة*، وكما في قوله تعالى نهاية سورة القيامة: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِـــيَ ٱلْمَوْتَى﴾ ؟ فلن تحيد الفطرة السلمية عن قول (بلى) وكذا في قوله تعالى – تقريراً – : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾.

–* البديهة: التي لا يختلف عليها إثنان–

(٢) ذكره الحاكم في المستدرك ٣٤١/٤.

وروى الـــترمذي (٥٥٢) – قوله عليه الصلاة والسلام: { بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً مسيا، أو غـــنى مطغـــياً ، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب يُنتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر}. –وإن ضعفه أهل العلم، ولكن نورده استئناساً–

obeikandi.com

جاء في (خزانة الأدب) ٢/١٢١- من الوعظ - :

روى السيد علم الهدى المرتضى في (أماليه) أن مسلماً الخزاعي قال شهدت رسول الله ﷺ وقد أنشد مُنشدُ قول سويد بن عامر المصطلقي:

لا تأمنن.. وأن أمسيت في حرم ..إن المنايا بكفّ كل إنسان[1]

واسلك طريقك مشي غير مُختشعٍ حتى يبني ما لك الباني

فكل ذي صاحب يوماً مُفارقه[2] وكل زاد.. وإن أبقيته فاني

والخير والشر مقرونان في قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان[3]

فقال رسول الله ﷺ: {لو أدركته لأسلم}.

.. ومرّ أمير المؤمنين : علي رضي الله عنه على (المقابر) .. فقال – بعد السلام والدعاء..-:

(يا أهل المقابر: أما الأموال فقد قُسمت، وأما الدور فقد سُكنت، وأما الأزواج فقد تزوجن، فذا خبر ما عندنا..، فما خبر ما عندكم؟

ثم التفت إلى من معه وقال : والله لو نطقوا[4] لقالوا: (إن خير الزاد التقوى).

.. وقال (ابن جبير):

تراه يشفق من تضييع درهمه وليس يشفق من دين يُضيعه

---

(١) والعمر زمن يمر سريعاً . يراه الإنسان لا نهاية له، ويلهه الأمل عن الآخرة ولذلك قال الخليفة المعتصم عند موته:
لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت.

(٢) أنظر قول جبريل عليه السلام ص/١٠٧

(٣) الجديدان: الليل والنهار

(٤) ..وانظر ما يأتي ص ١٦٤.

وبعـــد أن ألقـــي قتلى (بدر) من المشركين، في قليب، وقف على القليب رسول الله ﷺ ، ثم قال: {يا فلان يا فلان إني وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربي حقاً؟! فقيل له: يا رسول الله: كيف تكلّم جيفاً؟ فقال لهم: ما أنتم بأسمع منهم}- الحديث -

وقد شيعّ عمر بن عبد العزيز جنازة فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها؟ فقال : (نعم، ناداني القبر[1] من خلفي: يا عمر بن عبد العزيز ألا تســـألني ما صنعت بالأحبة؟ قلت: بلى، قال: خرقت الأكفان، ومزقت الابدان، ومصصت الدم، ..الخ) حلية الأولياء ٥/١٦١.

وهاك.. خطاب أبي العتاهية.. لها – أو/ لأهلها:

أتيـــت القـــبور فســـاءلتها ... أيـــن المعظّـــم والمحـــتقر

وأيـــن المـــذلّ بســـلطانه ... وأيـــن القـــوي عـــلى مـــا قدر

..تفـــانوا جمـــيعاً فمـــا مُخبرٍ ... ومـــاتوا جمـــيعاً ومـــات الخَـــبَر

فـــيا ســـائلي عن أناس مضوا ... أمـــالك فـــيما مضـــى معتـــبر!

- .. نقول: بلى، بإذن ربنا-

وقـــال الشـــاعر عبد الرحيم البرعي اليمني -.. من قصيدة يمدح بها الرسول ﷺ-:

---

(١) .. أنظر ما يأتي ص١٦٨ وما بعدها.

obeikandl.com

أروح وأغـــدو شارباً كأس غفلة ... بمـــاء الأماني الكواذب تُمـــزج

وأمسي وأضحي حاملاً في بطاقتي ... ذنوبـــاً تكاد الأرض منهن تخرج

إذا قلـــت للنفس استعدي بتوبة ... أبت وشـــقي الحظ لا يتحجّج

وإن قلت للقلب اسقم بي تعرضت ... له شهـــــوات نارها تـــتأجج

فكـــم أتـــزيَّـــا بالعبادة والتقى ... رياءً،.. وُباب الرشد عني مُرْتج

أريـــد مقـــــام الصالحين وليس لي ... كمنهجهم في الدين ديـــن ومنهج

وإن حضـــر الإخوان للذكر والبكا ... حضرت كأنـــي لاعب متـــفرج

فواخجلتي شيبٌ وعيب.. وقد دنا ... رحيلي،ولا أدري علام أعـــرج

تـذكّـر دائـماً

واجـــب الإنســـان المســـلم نحو (اليوم الآخر): المبادءة والمبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل فوات الأوان.

obeikandi.com

الخوف.. والرجاء:

بدءاً.. هما جناحا المؤمن الموقن بالله، الخائف منه..كي: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۝٩ ﴾[الزمر/٩] فلا يغلّب جناح الخوف..فيهوي لدركات اليأس والقنوط..!

أو يعلي جناح الرجاء.. فيسكن إلى الأمل والأماني التي قد تبلغ المرء قيعة (السّراب) .. فيجد العمر انطوى على غير طائل، وليس عن الموت حائل.. ولا ساعة مندم!

فـ / الخوف:

بداءً.. لا شك أن الحديث عن يوم القيامة - وأهواله[1] - حديث مروّع ينزع القلوب من الصدور، ويطيشُ بالألباب.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾ [الحج: ١-٢].

و..كما يصفه سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ ﴾ [عبس:٣٤-٣٦].

---

(١) أنظر خلف الصفحة.

ويقول تعالى أيضاً: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود:١٠٢- ١٠٧].

ويقول أيضاً: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الزمر:١٦].

ويقول أيضاً: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [الليل:١٤].

ويقول النبي ﷺ: {أطَّت[1] السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع.. إلا وعليه ملك ساجد، لو تعلمون ما أعلم.. لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصُّعدات[2] تجأرون[3] إلى الله تعالى}[4].

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة:٤٠].

---

(١) الأطيط: هو أنين الإبل تعباً من أثقالها - وأطيط السماء كناية عن كثرة الملائكة فيها، وإن لم يوجد الأطيط حقيقة -

(٢) الطرقات .

(٣) تستغيثون .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٧٣/٥ .

ويقول جل جلاله أيضاً: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [البروج:١٢] لكن يغالب (جهم) ذلك..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لما قرأ قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ [الزلزلة/ آية ٤]: {أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها}(١).

يقول ﷺ : {لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع، عن عمـــره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به}(٢).

وعـــن أبي ســـعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {كيف أنعم ؟ وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فيـــنفخ}. فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم: {قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا}(٣).

وأعظم مثال عن الصحابي الجليل عمر رضي الله عنه-.. هذا الإنسان العظيم(٤)في إيمانه وجلده قد نسب له.. قوله :

وما بيّ خوف الموت.. إني لميت ولكن خوف الذنب يتبعه الذنب

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد ٣٧٤/٢، والترمذي ٦١٩/٤ .

(٢) أخرجه الترمذي ٦١٢/٤ .

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد ٣٢٦/١، والترمذي ٦٢٠/٤ .

(٤) حتى في أدبه مع ربه!-.. القائل ..

" لو نادى مناد من السماء: أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً لخشيت أن أكون أنا"-

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظنا ويعصمنا من النار أنه غفور رحيم، .. قال طاهر زمخشري -رحمه الله-:

سبّحي[1] لله يا نفس.. وصلي واشكريه

..وإذا عاثت بكِ "البلوى" وهاجت فاذكريه

إنه الشيطان يغويكِ لتشقي.. فاحذريه

فإذا غالكِ إثمٌ جامحٌ فاستغفريه

وردد دائماً هذا الدعاء- وقد صحّ عنه ﷺ: {اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم}.

وأيضاً :

{اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما اسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت}.

ثم.. وألفت انتباه القارئ الكريم إلى مسألة هامة، وهي/

أن الخوف الذي تقدم الحديث عنه: يجب أن لا يتمكن من قلب الإنسان المؤمن إلى أن يبلغ به حالة اليأس والقنوط من رحمة ربه عز وجل، بل ينبغي عليه أن يجعل منه واقي لنفسه الأمّارة بالسوء، ودافع.. لأن تكف -بعون الله- عن غيهّا وتعود إلى بارئها عز وجل، فـ/ الخوف والرجاء[2] -هما- كجناحي طائر، فإن طغى أحدهما على الآخر.. سقط هذا الطائر -

---

(١) من.. سبّح أي نزّه عن كل ما لا يليق بجلاله.

(٢) أي (يرجو رحمت ربه، ويحذر الآخرة).

قيل: من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً: مـــن عرف ربه فأطاعه وعرف شيطانه فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.

- ست بليت بها والمستعاذ به ... مـــن شرّها، من إليه الخلق يبتهل

نفسي وإبليس والدنيا التي فتنت ... من قبلنا، والهوى والحرص والأمل

إن لم تكن منك يا مولاي واقية ... من شرها، فقد أعيت عبدك الحيل-

obeikandl.com

obeikandl.com

الرجاء:

الذي .. له بشائر ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦].

ويقول أيضاً: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الطور: ٢٥-٢٨].

كما قال سبحانه – في البشائر-: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ [مريم: ٦٣].

.. ومنها :

يقول الله عز وجل ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: الآية٥٣].

..ويقول أيضاً: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ [الرعد: من الآية٦].

ويقول أيضاً: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾[الشورى: من الآية ٥].

ويقول أيضاً: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: من الآية ١٥٦].

ويقول أيضاً: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف:٨٧].

ويقول أيضاً: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٧].

ويقول أيضاً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: من الآية٤٨].

- مـــن ذا الذي ما ساء قط .. ومـــن له الحســـنى فقـــط-

ويقول النبي ﷺ.. يقول الله تعالى: {من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيـــد، ومـــن جاء بالسيئة.. فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرَّب مني شـــبراً.. تقربـــت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً.. تقربت منه باعاً، ومن أتـــاني يمشي.. أتيته هرولة.. ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً.. لقيته بمثلها مغفرة}[1]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأةٌ من السبي تسعى.. إذ وجدت صبياً في السبي، فأخذته فألزقته ببطنها

---

(١) رواه مسلم ٤/٢٦٨ .

فأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: {أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟، قلنا: لا والله. فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها}[1].

وعن جابر رضي الله عنه: جاء إعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله.. ما الموجبتان؟ فقال: {من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة،[2] ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار}[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: فيما يحكي عن ربه سبحانه وتعالى: {أذنب عبدي ذنباً فقال: أي رب، أغفر لي ذنبي، فعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب، أغفر لي ذنبي فقال: تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب أغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، وقد غفرت لعبدي، فليفعل مايشاء}[4].

– وذاك.. أي/ بفضل من رحمته ﴿ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ و ﴿ إن ربك واسع المغفرة﴾ و ﴿ وَسِعْتَ[5] كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ۝٧ ﴾ [غافر/ آية ٧].

وجاء في الأثر {إن لِلهِ نفحات فتعرّضوا لنفحاته}، وصح أيضاً: {إن للهِ في أيام الدهر نفحاتٍ فتعّرضوا لها، فلعل أحدكم أن تُصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبداً}.

---

(١) الحديث رواه البخاري ٢٢٣٦/٥، ومسلم ٢١٠٩/٤ .

(٢) وهي بشرى عظيمة – لكل موحّد مات عليها–

(٣) الحديث أخرجه مسلم ٩٤/١ .

(٤) الحديث أخرجه مسلم ٢١١٢/٤ .

(٥) أي: (إن رحمته عامة شاملة ، لجميع الخلق).

ومن هذا التعرّض/ ما جاء في الحديث { قول: لا إله إلا الله وحده لا شـــريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت وهو على كل شيء قدير مئة مرة، كتبت له ألف ألف حسنة}.

بل/ ماذا يجهد المرء أن يقول (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) مئة مرة.. لتُحطّ عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر – كما في الحديث– و– مثلاً–: (رمضان) شهر "النفحات".. والبركات:، فلماذا لا نقوم رمضـــان؟! ولمـــاذا لا نجرب لذة القرآن؟! ولذة المناجاة والدعاء؟! ولماذا لا نجـــرب وقت الأسحار وهجيع الليل؟ ولماذا لا ننطرح بين يدي مولانا فربنا ينزل في ثلث الليل الأخير نزولاً يليق بجلاله وعظمته يعرض نفحاته ورحماته، فلماذا لا نتعرض لرحمات الله؟

قُم في الدجى واتلُ الكتاب ولا تنم إلا كـــــنومة حائـــــر ولهـــــان
فلـــــربما تـــــأتي المنـــــية بغـــــتةً فتُســـاق مـــن فـــرس إلى أكفان
يـــا حبذا عينان في غسق الدجى مـــن خشـــية الـــرحمن باكيـــتان
فـــالله يـــنزل كـــل آخـــر ليلة لســـمائه الدنـــيا بـــلا نكـــران
فـــيقول: هـــل من سائل فأجيبه (فأنـــا القريـــب أجيب من ناداني

(لو وصف الله نفسه بالعدل فقط لهلكنا، ولكنه ألزم نفسه بالرحمة، فضلاً منه وكرماً ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنعام/ آية ٦]. فالله هو مصدر الرحمة والحب، وهناك فيض من الآيات والأحاديث[1]، تمنح التوازن والانتعاش للروح في أحاديث من نموذج "الذي قتل ٩٩نفساً" فهو يعطي الأمل لمجرم من هذا الحجم، ولكن ثقافتنا التي تعاني من مرض فقدان التوازن

(١) .. تقدم –.. في الصفحة السابقة –: بعض من نماذجها.

حولت الإنسان إلى كتلة خوف يوم وُلد ويوم يموت، بفعل ثقافة القسوة المغلفة للحياة).

كيف.. وقد روى الترمذي حديث:

{خلق الله مئة رحمة، فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها، وعند الله تسعة وتسعون}صدق (الرحمة المجتباه) حبيبنا صلى الله عليه وسلم.

وأحسن ابتهالاً ذلك الشاعر بقوله :

يا من له عنت الوجوه بأسرها ولـــه جمـيع الكائـنات وحّد

يـا منتهى سؤلي وغاية مطلبي مـن لي إذا أنا عن جنابك أُطرد

أنـت المؤمَّل في الشدائد كلها يا سيدي، ولك البقاء السرمد[1]

- و. كما أحسن غيره استعطافاً .. بـ :

إن الملـوك إذ شابت عبيدهم عـتقوهم يـاربِّ عـتق أبـرار

وأنـت يارب أولى بذا كرماً قد شبت في رقِّك فعتقني من النار-

ثم/ إن ربـك غني عنك.. يقابل القليل منك بالكثير منه، وخذ هذه البشرى في جامع الأحاديث للسيوطي-:

قال النبي ﷺ: {ابشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هذا القرآن سببٌ[2]، طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسّكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً}.

---

(١) السـرمد/ الـذي لـيس له نهاية- فهو.. سبحانه (الأول ليس قبله شيء، والآخر ليس بعد شيء)، كما في الدعاء المأثور.

(١) أنظر.. ما تقدم ص/٣٩.

ومع.. ما تقدم من الآيات والأحاديث عن الرجاء، وكما قلنا عن (الخوف)- ص٦١-.. فلا ينبغي للإنسان المسلم أن يسترسل معها – بالرجاء- حتى تبلغ به درجة التمادي أو الاستخفاف بأوامر الله ونواهيه[1]، بل عليه أن يكون كما أراده الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ تَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۝٩ ﴾ [الزمر/ ٩].

-ولدتــك أمك يا أبن آدم باكياً والقوم حولك يضحكون سروراً[3]

فــاعمل لــيومٍ أن تكون إذا بكوا في يوم موتك.. ضاحكاً مسروراً-

كان النبي ﷺ في جنازة، فأخذ شيئاً فجعل ينكت به الأرض، فقال : { ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة} فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل، قال :{ اعملوا فكلٌ ميسّر لما خُلق له، أما من كان من أهل السعادة فيسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ

---

(٢) ..حتى قيل في أبي نواس، وأبي العتاهية:

كلاهما مخطئ: ذاك لإفراطه في أباطيلها، وهذا لإفراطه في التذهيل بها.

لكــن للأســف أن جملــة مــن الــناس اليوم بين حالين، إما الإفراط في ذلك فيكون شغله الشاغل..،حتى يركن..انتظارا له .. أو السهي عنه/ حتى.. لا يدري بحاله إلا وهو في جدثه – بين الصفائح والصخور-.. انظر ما يأتي هامش (٢) ص/١١٠-

وللجرجاني كلمة في مثل هذا (ومن لم يفرق بين الحالين، وقفت به الملامة بين تفريط المقصر، وإسراف المفرط. وقد جعل الله لكل شيء قدرا).

(٣) التذكرة – للقرطبي- ١٠٢.

بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل ٥-١٠].

وهذا ما فصّلته الآيات : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود].

وهنا حال المؤمن بين الرجاء – الوعد –، والخوف – الوعيد –/ فـــ.. مع كل عمل صالح، تأتي البشرى، ومع كل عمل سيء يأتي التحذير، كما قال تعالى : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [الليل/ آية ١٤] يبين ربنا.. عما عمل أهلها ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ﴾ [الليل/ اية١٥].

وكـــان رسولنا ﷺ شديد الإنذار، والتحذير منها، وقف ﷺ على منبره فجعل ينادي ويقول: {أنذرتكم النار} [1] ثلاثاً، وعلا صوته حتى سمعة أهـــل السوق جميعاً، وحتى وقعت خميصة كانت على كتفه عند رجليه.. من شدة تأثره وانفعاله بما يقول عليه الصلاة والسلام.

وعـــن ابـــن عباس (رضي الله عنهما) قال: إنَّ رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن! يقول :{ قولوا: اللهم إنّا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات} رواه مسلم.

وصـــحح الألـــباني- رحمه الله — : { اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهـــنم، ومـــن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم }[2].

---

(١) وصح عنه ﷺ الدعاء — بعد صلاتي الفجر والمغرب-: اللهم أجرني من النار — سبعاً-.

وأيضاً: (اللهم إني أسألك الجنة وأستعيذ بك من النار)— ثلاثاً —.. ولهذا.. جاء في الحديث (اتقوا النار ولو بشق تمرة).

.. وكتـــب الداعية (فايز العتيبي) عنها وعن أهلها: ((غطائهم من (نار)، وطعامهم من نار وشرابهم من نار ولباســـهم من نار ومهادهم من نار، تغلي بهم كغلي القدور وهم يهتفون بالويل ويدعون بالثبور. يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ يتفجر الصديد من أفواههم، وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل عـــلى الخدود عيونهم وأهدابهم " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب " أمانيهم فيها الهـــلاك ومـــا لهم من أسرها فكاك، كيف بك إذ رأيتهم وقد أسودت وجوههم فهي أشد سواداً من الحِمم، وعميـــت أبصـــارهم، وأبكمت ألسنتهم، وقصمت ظهورهم، ومزقت جلودهم، وغلت أيديهم إلى أعناقهم، وجمـــع بين نواصيهم وأقدامهم، يمشون على النار بوجوههم، ويطئون حسك الحديد بأحداقهم.. ينادون من أكنافها ويصيحون من أقطارها: يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد حق علينا الوعيد. يا مالك قد نضجت مـــنا الجلود، يا مالك قد تفتت منا الكبود، يا مالك العدم خير من هذا الوجود. فيجيبهم بعد ألف سنة بأشد وأقسى خطاب وأغلظ جواب: " إنكم ماكثون "..)).

(٢) كتاب (المختار من صحيح الأذكار).

و.. كـــان عمر بن الخطاب- رضي الله عنه – يقول : أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وقعرها بعيد، ومقامعها حديد.

وصدق الله العظيم: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا[1] تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة/٢٨١] - كما في تحذيره:﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران/٢٨]-

تـذكّـر دائـمـاً

الإنسان (المؤمن) يطير إلى الآخرة بجناحي : الخوف والرجاء

(١) ولمـــا حضرت الوفاة (الفضيل بن عياض) رحمه الله ، غشي عليه، ثم أفاق وقال: (يا بعد سفري وقلة زادي) (العاقبة/١٣٣).

obeikandl.com